

إذا ما كنت متخذاً صاحباً فلا تصحبني فتي دارميا
 لم يرد بالخطاب رجلاً بعينه إنما أراد من كان متخذاً صاحباً فلا يجعله
 من دارم، وهذا وإن كان جائزاً حسناً فإن المذهب الأول أعجب إلى لأن
 الكلام اتصل حتى قال - أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - . وهذا
 لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها
 إيمانها إلا قوم يونس) أي فهلا آمنت قرية غير قوم يونس. (قل انظروا
 ماذا في السموات) من الدلائل (وما في الأرض) واعتبروا

﴿غريب سورة هود عليه السلام ومشكلها﴾

(أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) فلم تنسخ (ثم فصلت) بالحلال والحرام ويقال فصلت
 أنزلت شيئاً بعد شيء، ولم تنزل جملة (من لدن حكيم خبير) أي من عند
 حكيم خبير ﴿ش﴾ قال أبو محمد: لدن بمعنى عند قال - قد بلغت من لدني عذراً -
 أي بلغت عندي . وقد تحذف منها النون كما تحذف من لم يكن قال الشاعر^(١)
 من لدن حليه إلى منخوره

أي من عند حليه، وفيه لغة أخرى - لدى - قال الله تعالى: - وألنيا
 سيدها لدى الباب - أي عند الباب (يمتعكم متاعاً حسناً) أي يعمركم،
 وأصل الامتاع الاطالة يقال: أمتع الله بك، ومتع الله بك إمتاعاً ومتاعاً،
 والشئ الطويل ممتع وقدمت النهار إذا تطاول (يذنون صدورهم) أي يطوون
 ما فيها ويسترونه (ليستخفوا) بذلك من الله عز وجل (ألا حين يستغشون

(١) هو غيلان بن حريث . وصدر البيت : يستوعب النوعين من حريره .

ثيابهم) أى يسترون بها ويستغشونها ﴿ش﴾ ألا تنبيه وهى زيادة فى الكلام تقول ألا إن القوم خارجون تريد بها افهم أعلم أن الأمر كذا ﴿غ﴾ (ويعلمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا). قال ابن مسعود: مستقرها الارحام ومستودعها الأرض التى تموت فيها (إلى أمةٍ) أى إلى حين بنير توقيت. وأما قوله تعالى - واذكر بعد أمة - فيقال: بعد سبع سنين و(يؤوس) فعول من يئست أى قنوط (ذهب السيئات عني) أى البلايا (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفٌ إليهم أعمالهم فيها) أى نؤتهم ثواب أعمالهم فيها (وهم فيها لا يبخسون) أى لا ينقصون ﴿ش﴾ (لا جرم) أى حقا قال الفراء: نهى بمنزلة لا بدولا محالة ثم كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا. وأصل جرمت كسبت قال وقال الشاعر: -^(١)

ولقد طغنتُ أبا عينه طعنة جرمت فزارة بعدها أن يفضبوا
أى كسبتهم الغضب أبدا. قال: وليس قول من قال: حق لفزارة.
الغضب بشيء. ويقال فلان جرم أهله أى كاسبهم وجريمتهم ولا أحسب
الذنب يسمى جرما إلا من هذا لأنه كسب واقتراف ﴿ش﴾ (أفمن كان على
بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) الآية قال أبو محمد: هذا كلام مردود
إلى ما قبله محذوف منه الجواب للاختصار. وإنما ذكر الله سبحانه قبل
هذا الكلام أقواما ركنوا إلى الدنيا ورضوا بها عوضا من الآخرة وزينتها
فقال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفٌ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

(١) هو أبو أسماء بن الضريبة

لا يخسرون - أى نوفهم أعمالهم فى الدنيا اذا كان عملهم لها وطلبهم ثوابها
 و(لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) أى ذهب وبطل
 لأنهم لم يريدوا الله عز وجل بشىء منه ثم قايس بين هؤلاء وبين النبي ﷺ
 وصحابته فقال (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ) يعنى محمداً ﷺ (وَيَتْلُوهُ
 شَاهِدٌ مِنْهُ) أى من ربه ، الهاء مردودة إلى الله تعالى والشاهد من الله للنبي
 جبريل صلوات الله عليهما وسلامه يريد أنه يتبعه يؤيده ويسدده ويقال
 الشاهد القرآن يتلوه يكون بعده تالياً شاهداً له . وهذا أعجب إلى لأنه يقول:
 (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى) يعنى التوراة (إِمَامًا وَرَحْمَةً) قبل القرآن
 ويشهد له بما قدم الله فيها من ذكره والجواب ها هنا محذوف أراد أفمن كان
 هذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزينتها؟ فاكنتى من الكلام
 بما تقدم إذ كان فيه دليل عليه ، ومثله - أفمن هو قانتٌ آتاء الليلِ ساجداً
 وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ رَبِّهِ - لم يذكر الذى هو ضده لأنه قال
 بعد - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - والقانتون آتاء الليل
 والنهار هم الذين يعلمون ، وأضدادهم هم الذين لا يعلمون فاكنتى من الجواب
 بما تأخر من القول إذ كان فيه دليل عليه وقوله (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) يعنى
 أصحاب محمد ﷺ يؤمنون بهذا (وَمَنْ يَتَفَرَّبْ بِهِ مِنَ الْحِزَابِ) يعنى
 مشركى العرب وغيرهم على ما تقدم فى باب الكناية . ﴿غ﴾ (أَرَادْنَا)
 شرارنا جمع أردل يقال رجل رذل وقد رذل رذالة ورذولة (بَادِيَ الرَّأْيِ)
 أى ظاهر الرأى بغير همز من قولك: بدا لى ما كان خفياً أى ظهر ومن همزه

جعله أول الرأي من بدأت في الأمر فأنا أبدأ (أرأيتم إن كنتُ على يَدِينِهِ
من رَبِّي) على يقين وبيان (فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ) أي عميتم عن ذلك يقال
عميَ على الأمر إذا لم يفهمه وعميت عنه بمعنى (أَنْزَلْنَا مُكُوهَا) أي نوحبها
ونأخذكم بفهمها وأنتم تكروهون ذلك (قل إن اقترَبْتَهُ) أي اختلقته (فعلیَّ
لِجْرَامِي) أي جُرْم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت (وَأَنْبَرِيءٌ مِّمَّا
تُجْرَمُونَ) في التكذيب (وَالْفُلُكِ) السفينة وجمعها فلك مثل الواحد (مِنْ
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) أي من كل ذكر وأنثى اثنين (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي سبق القول بهلكته (مَجْرَاهَا) مسيرها (ومُرْسَاهَا)
حيث ترسى وترسو أيضاً أي تقف (يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) أي يمنني منه
(قَالَ لَا عَصِيمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي لا معصوم اليوم من أمر الله (إِلَّا
مَنْ رَحِمَ) ومثله ماء دافق يعني مدفوق (وغيض الماء) أي نقص يقال غاض
الماء وغضته أي نقص ونقصته (وَقُضِيَ الْأَمْرُ) أي فرغ منه ففرق من
غرق ونجا من نجا (والجودي) جبل بالجزيرة (لأنه ليس من أهلك) لمخالفته
إياك . وهذا كما يقول الرجل لابنه إذا خالفه اذهب فلست منك ولست مني
لا يريد به دفع نسبه أي قد فارقتك (وإلى عادِ أَخَاهُمْ هُودًا) جعله أخاهم لأنه
منهم (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) أي أصابك بمخبل يقال
أعراني كذا وكذا واعتراني إذا ألمَّ بي . ومنه قيل لمن أتاك يطلب قائلك
عار . ومنه قول النابغة : —

أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقًا يُبَايِئُ عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِِي الظنون

(العنيد) والعائد والعود المعارض لك بالخلاف عليك (إلا هو أخذ
بناصيتها) استعارة أى يقهرها ويذلها بالملك والسلطان وأصل هذا أن من
أخذت بناصيته فقد أذلته وقهرته ومنه قيل فى الدعاء ناصيتى بيدك أى أنت
مالك لى قاهر ﴿ش﴾ (وأُتبعُوا فى هذه الدنيا لعنة) أى الحقو (فما
تزيدوننى غير تخسير) أى غير نقصان (بعجل حنيد) أى مشوى يقال
حنذت الجمل إذا شويته فى خد من الأرض بالرضف وهى الحجارة المحماة
وفى الحديث أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل مع رسول الله ﷺ فأتى
بضب محنوذ (فلما رأى أيديهم لاتصل إية) يريد رآهم لا يأكلون
(نكرهم) أنكرهم يقال نكرتك وأنكرتك واستنكرتك (وأوجس منهم
خيفة) أى أضمر فى نفسه خوفا (فضحكك). قال عكرمة : حاضت من
قولهم ضحكك الأرنب إذا حاضت وغيره من المفسرين يجعله الضحك
عينه وكذلك هو فى التوراة ﴿قال أبو محمد﴾ وقرأت فى التوراة أنها حين
بشرت بالغلام ضحكك فى نفسها وقالت : من بعد ما بلغت أعود شابة وسيدى
إبراهيم قد شاخ فقال الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام لم ضحكك سرا
وقالت أحق أن ألد وقد كبرت فجحدت سرا ﴿قال أبو محمد﴾ اسم سارة
فى التوراة سرا وقالت لم أضحكك من أجل أنها خشيت فقال بل لقد ضحكك
(ومن وراء إسحاق يعقوب) أى بعد إسحاق يعقوب قال أبو عبيدة
الوراء ولد الولد (وسبيهم) فعل بهم من السوء (وقال هذا يوم
عصيب) أى شديد ويقال يوم عصيب وعصبتب (وجاءه قومه

يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) أى يُسْرَعُونَ إليه يقال أهرع الرجل إذا أسرع على لفظ
 يالم يسم فاعله كما يقال أرعد (هوؤلاء بنائى هن أطهر لكم) أى
 تزوجهن فهن أطهر لكم (فى ضيفى) أى فى أضيافى والواحد يدل على
 الجميع كما يقال هؤلاء رسولى ووكيلى (قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك
 من حق) أى لم تزوجهن قبل فنستحقهن (أو أوى الى ركن شديد)
 أى الى عشيرة عشرة (فأسر بأهلك) أى سربهم ليلاً (بقطع)
 منه أى ببقية تبقى من آخره والقطعة والقطع شىء واحد (حجارة من
 سجيل) يذهب بعض المفسرين الى أنها سنك كليل بالفارسية ويعتبرونه
 بقوله عز وجل - حجارة من طين - يعنى الأجر كذلك قال ابن عباس
 رضى الله عنه وقال أبو عبيدة السجيل الشديد وأنشد لابن مقبل

* ضرباً توأمت به الأبطال سجينا * (١)

قال يريد ضرباً شديداً (قال أبو محمد) ولست أدري ما سجين من
 من سجيل وذلك باللام وهذا بالنون وإنما سجين فى بيت ابن مقبل
 فعيل من سجت أى حبست كأنه قال ضرب يبيت صاحبه بمكانه أى
 أى يحبسه مقتولاً أو مقارباً للقتل وفعيل لما دام منه العمل كقولك رجل
 فسيق وسكير وسكيت إذا دام منه الفسق والسكوت والسكر وكذلك
 سجين إنما هو ضرب يدوم منه الاثبات والحبس . وبعض الرواة يرويه
 سخين من السخونة أى ضرباً سخناً (منضود) أى بعضه على بعض كما

(١) هذا عجز بيت وصدرة : ورقة يضربون البيض ضاحية

تَنْضُدُ الثِّيَابُ وَكَأَيُّنْضُدُ اللَّبَنُ (مُسَوِّمَةً) أَي مَعْلَمَةً بِمَثَلِ الْخَوَاتِمِ وَالسَّوْمَةِ
 الْعَلَامَةِ (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) أَي مَا بَقِيَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ حِلَالِ الرِّزْقِ خَيْرٌ
 لَكُمْ مِنَ التَّطْفِيفِ (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ) أَي دِينُكَ وَيُقَالُ قِرَاءَتُكَ
 (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) أَي لَا يَكْسِبَنَّكُمْ وَيَجْرِي عَلَيْكُمْ شِقَاقِي أَي عِدَاوَتِي
 أَنْ تَهْلِكُوا (وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) أَي قَتَلْنَاكَ وَكَانُوا يَقْتُلُونَ رَجَاءً
 فَسَى الْقَتْلِ رَجَاءً وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَنْ لَمْ تَفْتَهُوا لَنْ رَجَمْنَاكُمْ
 وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (وَإِخْتِذُوا مَوْعِظَةً مِمَّا ظَهَرِيًّا) أَي لَمْ تَلْتَفِتُوا
 إِلَى مَا جِئْتُمْ بِهِ عَنْهُ، تَقُولُ الْعَرَبُ جَعَلْتَنِي ظَهْرِيًّا وَجَعَلْتَ حَاجَتِي مِنْكَ
 بِظَهْرٍ إِذَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ وَعَنْ حَاجَتِهِ (وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) أَي
 أَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مُنْتَظَرٌ (أَلَا بُعْدَ لِدَيْنٍ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودٌ) يُقَالُ بَعْدَ
 يَبْعُدُ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ هَلَاكَةٌ وَبَعْدُ يَبْعُدُ إِذَا نَأَى (الرَّفْدُ) الْعَطِيَّةُ يَقُولُ
 اللَّعْنَةُ بئسَ العَطِيَّةُ يُقَالُ رَفَدْتُهُ أَرَفَدْتُهُ إِذَا أُعْطِيْتَهُ وَأَعْتَهُ وَ(الرَّفُودُ) الْمَعْطَى
 كَمَا يُقَالُ بئسَ العَطَاءُ الْمَعْطَى وَ(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى) أَي مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ
 (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) أَي ظَاهِرٌ لِلْعَيْنِ وَحَصِيدٌ قَدْ أُيِّدَ وَحَصِيدٌ (مَا زَادُوهُمْ
 غَيْرَ تَتْبِيبٍ) أَي غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ - تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ -
 أَي خَسِرَتْ (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ) (قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ) فِي بَابِ
 التَّنَاقُضِ وَالِاخْتِلَافِ فِيمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ فِي مَعْنَى الْأَبَدِ الْفَاعِلًا
 يَسْتَعْمَلُونَهَا فِي كَلَامِهِمْ يَقُولُونَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا ظَمًا^(١)

(١) وَمَا ظَمًا كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ طَعْنٌ تَحْرِيفٌ مِنَ الْكَاتِبِ

البحر أى ما ارتفع وما أقام الجبل وما دامت السموات والأرض فى أشباه لهذا كثيرة يريدون لا أفعله أبداً لأن هذه المعانى عندهم لا تتغير عن أحوالها أبداً نخطبهم الله سبحانه بما يستعملون فقال - خالدين فيها مادامت السموات والأرض - أى مقدار دوامهما وذلك مدة العالم وللسماء والأرض وقت يتغيران فيه عن هيتهما يقول الله عز وعلأ - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - وقال تعالى - يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب - فأراد أنهم خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم ثم قال (عطاءً غير مجذوذ) أى غير مقطوع وإلا فى هذا الموضع بمعنى سوى ومثله فى الكلام لا سكنن فى هذه الدار حولاً إلا ماشئت يريد ماشئت أن أزداد على الحول ، هذا وجه وفيه قول آخر وهو أن يجعل دوام السموات والأرض فى الدنيا بمعنى الأبد على ما تعرف العرب وتستعمل وإن كاتتا قد يتغيران ويستثنى المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السموات والأرض فى الدنيا لافى الجنة ولا فى النار فكأنه قال خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعييرهم فى الدنيا قبل ذلك ، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مكث أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تلحقهم رحمة الله وشفاعة رسوله الكريم ﷺ فيخرجوا منها إلى الجنة فكأنه قال خالدين فى النار مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة وخالدين

في الجنة مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين
النار مدة من المدد ثم يصيرون إلى الجنة (وأما قوله) - لا يذوقون فيها
الموت إلا الموتة الأولى - فإن الآ في هذا الموضع أيضاً بمعنى سوى
ومثله - ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف - يريد
سوى ما قد سلف في الجاهلية قبل النهي. وإنما استثنى الموتة الأولى وهي في
الدنيا لأن السعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لطفه وقدرته إلى
أسباب الجنة ويتفاضلون أيضاً فتلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله
عز وجل فمنهم من يلقاه الروح والريحان ومنهم من يفتح له باب الجنة ومنهم
الشهداء وأرواحهم في حواصل طير خضر تعلق في الجنة وجعفر بن أبي
طالب رضوان الله عليه ذو الجناحين يطير مع الملائكة في الجنة والله سبحانه
يقول - وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - أفما ترى أنهم عندنا موتى وهم في الجنة متصلون
بأسبابها فكيف لا يجوز أن يستثنى من مكثهم فيها الموتة الأولى ﴿غ﴾
(غَيْرَ مَجْدُودٍ) غير مقطوع يقال جذذتُ وجدذتُ وجدذتُ وجدذتُ وجدذتُ
إذا قطعت (وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أي نظرة لهم إلى يوم
القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) في الدنيا (فَأَسْتَقِيمُ) كما أمرت (أي امض على
ما أمرت به) (وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ) أي ساعة من الليل بعد ساعة واحدتها
زلفة يقال أزلقتي كذا عندك أي أدناني والمزالف المنازل والدرج وكذلك
الزلفُ قال العجاج :